كتاب

جورج شاهين

العميد جان ناصيف عن "سيرة عسكريّة وعِبر وطنيّة": لهذه الأسباب سمّاني كمال جنبلاط "الدكتيلو"

جمع العميد الركن المتقاعد جان ناصيف اوراق عمره منذ ان كان صبيا يرافق والده امر مخفر جبيل في الدرك في مهامه، وتحول كاتبا لمحاضر التحقيق معه، وصولا الى المحطات التي عاشها منذ انتسابه الى المدرسة الحربية الى حين تقاعدة قائدا لها

العميد المتقاعد جان ناصيف تحدث في مذكراته التي اختار لها عنوان "سيرة عسكرية وعبر وطنية" عن الظروف التي عرّفته الى الرئيس فؤاد شهاب وتمثيله الجيش في اللجنة الامنية قبل ان يسحبه قائد الجيش العماد ميشال عون منها كممثل للجيش، فقائدا للمدرسة الحربية قبل ان يمضي في تقاعده.

تحدث العميد ناصيف الى "الامن العام" عن كتابه وما دفعه الى وضعه والعبر الوطنية التي توصل اليها في مختلف المهام التي تولاها في حياته العسكرية.

■ بداية ما هي الظروف التي دفعتك الى كتابة مذكراتك في شكلها ومضمونها، ولماذا اخترت لكتابك عنوان "سيرة عسكرية وعبر وطنية"؟

□ لم اكن انوي ان اكتب مذكراتي، لكن اصرار عائلتي وخصوصا ابني الكبير فؤاد الذي عاش معي فترة طويلة، طلب مني ان اكتبها "من اجل عائلتي واولادي واحفادي ان لم يكن من اجلك انت"، كما قال لي، وقد لبيت طلبه. ولما اقنعني بدأت جمع الوثائق والمستندات، وذهبنا بداية الى تسجيل تلك الوقائع تمهيدا للتدقيق فيها والانتقال الى مرحلة الكتابة. ما قصدته من "سيرة عسكرية" عنوانا للكتاب، كان امرا طبيعيا، فانا وبعد ان انتهيت من المرحلة الثانوية انتقلت الى حياتي العسكرية الى ان تقاعدت العام 1993 بعد خدمة امتدت 40 عاما. اما العبر الوطنية فكانت ترجمة لما شهدته وانتهت اليه حياتي العسكرية. كنت الى جانب هذه المهمة اقوم بادوار اخرى بحكم المواقع التي تسلمتها. انا كنت مسؤولا عن فرع المعنويات وفرع الصحافة في الجيش، وكنت على تواصل معكم انتم الصحافيين وهو ما سمح لي ان اكون على علاقة ود واحترام ومحبة معكم حتى انني لقبت بـ"الدكتيلو" نتيجة تلك العلاقة المميزة وهو لقب اطلقه علي كمال بك جنبلاط.

العميد الركن المتقاعد جان ناصيف يتحدث الى "الامن العام".

نتيجة لكل هذه العلاقات وما انتهت اليه وما ادت اليه مع مختلف الشرائح والافرقاء اللبنانيين من خلفيات مذهبية وسياسية معينة، استطعت فهم النسيج اللبناني وسمحت لنفسي بأن اشير الى العبر التي استنتجتها. انا من نشأة عسكرية، والدي كان معاونا في الدرك وقد امضى خدمته في مناطق لبنانية مختلفة مارونية وسنية وشيعية ودرزية واورثوذكسية، وهو ما ادى بي الى التفاعل والتعايش مع هؤلاء الناس من دون اي تعصب مذهبي او اي عدائية لأي مذهب او فئة من المواطنين، وهو ما كوّن لدي قناعة وطنية تقول بأن لبنان لا يعيش الا بالتعاون والتفاعل بين جميع الفئات على مختلف مذاهبها وعقائدها.

■ تحدثت بالكثير من التفاصيل عن سيرتك ومسيرتك منذ انضمامك الى المؤسسة العسكرية وتدرجك في حياتك العسكرية، ما هي اهم المراحل التي عبرتها؟

□ عندما كنت في عمر الـ 16، كان والدي رئيس مخفر درك جبيل وكنت ارافقه الى العمل. وشاءت الصدف ان توفي الضابط آمر المخفر بسبب حادث سير في اثناء جولة له في قرطبا وطورزيا والعاقورة، لذلك كلف والدي بأمرة الفصيلة بالوكالة. وهي مهمة طالت بصفته اكبر رتباء منطقة جبيل فتحول آمرا للفصيلة بالوكالة. ولما كنت امضي الصيف الى جانبه حتى في المخفر، وابان المهام التي يقوم بها عند وقوع اي جريمة، وتحولت مرات عدة الى كاتب لديه، وهو ما ادى الى لقب اغدقه عليّ رفاقه فسميت "الملازم الصغير". هي مرحلة جعلتني افكر بأن اكون ضابطا في الدرك رغم رغبتي بالهندسة. ولما سبقني شقيقي الاكبر ليكون ضابطا في الجيش، تعرفت الى الجيش وقائده الجنرال فؤاد شهاب وصفاته فنسيت الهندسة خصوصا وان ظروف والدي المالية لم تكن تسمح لي بدخول الجامعة اليسوعية، فاخترت المدرسة الحربية والمفارقة انني دخلتها تلميذا ضابطا وخرجت منها عند التقاعد قائدا لها.

■ تحدثت عن التدرج في حياتك العسكرية، ما هي المحطات البارزة التي تناولتها وما هي افضلها او الاحب الى قلبك والتي لا يمكن ان تنساها؟

□ في بعض المحطات وفي مناسبات عدة من حياتي العسكرية، سمح لي الحظ بأن اكون الى جانب الرئيس فؤاد شهاب. التقيت به اول مرة وجها لوجه ليلة الانقلاب عليه. كان شقيقي العميد ميشال مرافقا له عندما اتصل بي عند الثانية والنصف فجرا وابلغني بضرورة الانتقال الى منزل الرئيس شهاب الذي تعرض لانقلاب فترافقنا. كان لقاء وجاهيا للمرة الاولى وهو كان يتودد الي لمعرفته انني شقيق ميشال، وتاليا لانني كنت امين السر لدى رئيس الاركان وكنت ناجحا في مهمتي. في تلك الليلة، كان الرئيس شهاب في وضع مريح يتمتع باعصاب باردة عندما توجه الينا والى قائد الحرس متمنيا عدم سقوط اي نقطة دم. وقد بادرنا الى القول "يا قائد الحرس لا اريد ان تسقط نقطة دم، وان ارادوني ووصلوا اليّ فليأخذوني ولا اريد ان يخسر اي عسكري نقطة من دمه". كان انسانا انسانيا وعطوفا ومحبا وصريحا. كانت المرة الاولى التي تعرفت فيها اليه، وقد كلفني يومها التوجه الى طرابلس لنقل كوكبة من المصفحات والتوجه الى وزارة الدفاع لفك الطوق عنها بقيادة كل من شوقي خيرالله وفؤاد عوض. باشرت المهمة على الفور، وفي اثناء عودتي على الطريق ومعي القافلة تبلغت بأن الطوق قد فك عن الوزارة. هنا عادت المصفحات الى مواقعها، وانا توجهت الى مقر عملي، وكان رئيسي يومها رئيس الاركان اللواء يوسف شميط الذي كان محاصرا ومحتجزا قبل الافراج عنه.

■ افردت فصلين عن مرحلة الحرب وسعيك عبر اللجنة الامنية التي جمعت ممثلي الاحزاب والقوى المتصارعة الى تثبيت وقف النار ووقف العمليات العسكرية، فما الذي تتذكره من تلك الفترة؟ وما هي المرحلة الاصعب التي تجاوزتها؟

□ ان العودة الى تلك المرحلة تدفعني الى القول اننا وفي اولى اجتماعاتنا جاء ممثلو الاحزاب

اليها وكان كلا منهم عدوا للثاني. قلت لهم "لا يا شباب نحن مكلفون تهدئة الامور ويجب ان نكون على الموجة نفسها لتثبيت وقف النار. علينا فتح الطرقات ورد المخطوفين ولنكن في خدمة المواطن المسالم والتعبان الذي لم يكن قادرا على تأمين ربطة الخبز". مع الوقت، تحولنا الى فريق عمل ومجموعة متجانسة بعد مرحلة من النفور والعداء، وبات همنا الاول والاخير تامين الظروف لاراحة المواطنين مع كل من ايوب حميد ممثلا لحركة امل، وجان غانم ممثلا للقوات اللبنانية والمقدم شريف فياض ممثلا للحزب التقدمي الاشتراكي ومن بعده وهبه ابوفاعور لفترات قصيرة الى ان تسلم المهمة سعيد الضاوي ولفترة طويلة. كنا على اتم الانسجام في ما بيننا، ومع الوقت افرجنا عن العديد من المخطوفين. كنت اطلب مع كل موعد لاجتماعنا ان يأتي كلا منهم

"تعرفت الى الرئيس فؤاد شهاب ليلة الانقلاب عليه وقمت بالمهمة التي كلفني بها"



غلاف الكتاب.

ومعه 5 مخطوفين من عنده، وهكذا نظمنا اكثر من عملية تبادل فافرجنا عن المئات منهم.

■ ما هي اصعب تلك المراحل التي لا يمكن ان تنساها؟

□ للحقيقة لم يكن هناك مراحل صعبة، بعدما اقلعنا في عملنا كنت وعند دعوتهم الى اي اجتماع كانوا يلبون في عز التأزم بين المتخاصمين. وكان الجميع يتحدثون عن غربية وشرقية وعن المعابر فاتفقنا على الغاء كلمة معابر، لانها معيبة في حقنا. فليس هناك من معابر بين مناطقنا الواحدة واعتمدنا كلمة فتح الطرق على البربير وغيرها فنحن في دولة واحدة. هنا اتذكر الرئيس رشيد كرامي رحمه الله عندما كان رئيسا لحكومة الاقطاب التي كانت تضم كلا من الرئيس كميل شمعون والرئيس نبيه بري والرئيس عادل عسيران والشيخ بيار الجميل والرئيس سليم الحص والوزير وليد جنبلاط طلب مني يوما ان كان في الامكان عقد اجتماع لحكومته في مقر اللجنة الامنية في سباق الخيل. قلت له يومها "ما عنا مكاتب، نحنا عم نشتغل باسطبل رممناه وعم نلتقي فيه وفي شوب كتير". هكذا جهزنا مقرا للجنة وربحنا بعض التجهيزات والمكيفات. رحم الله الرئيس كرامي كان يناديني سيد جان، ويتجاهل انني كنت عقيدا لفترة اشهر قليلة قبل ترقيتي الى رتبة عميد.

■ كيف تصف تلك المرحلة، وهل صحيح ان دور الجيش كان الاضعف امام قوة الميليشيات؟ ما هي ابرز العبر التي استخلصتها منها؟

□ كلا انها معادلة خاطئة، ليس صحيحا القول ان الجيش كان اضعف، لكن الجيش في مستوى انضباطه كان يتعرض للاعتداء او للقصف فلم يكن ليرد على التحدي قبل ان يحتسب حجم الاضرار التي يمكن ان تصيب المدنيين، فيتحاشى ذلك ايا يكن الثمن. العقلانية كانت تحدد ردود فعله بطريقة مختلفة عن ردود فعل مسلحي الاحزاب الذين كانوا يتمركزون بين الاهالي. الجيش لم يكن الاضعف، لكنه لم يكن في امكانه الرد على المعتدي. اليس هو من حماة الوطن والمواطنين، وكيف يمكنه ان يرد على المسلحين ويلحق الاذى بالمدنيين؟ ◄


ثلاثي الشعبة الثانية غابي لحود يتوسط سامي الخطيب وجان ناصيف في نيسان 2010.


مع الرئيس فؤاد شهاب.


الثلاثي في ايام الشعبة الثانية ورابعهم سامي الشيخة.


مع الرئيسين شارل حلو والياس سركيس.

■ شرحت في كتابك المرحلة التي فصلت بين نهاية مهمتك في اللجنة الامنية وانتقالك الى قيادة المدرسة الحربية، ما هو المميز فيها؟

□ امضيت فترة من حياتي العسكرية بلا مهمة، وهي تلك المرحلة التي بدأت مع نهاية ولاية الرئيس امين الجميل الرئاسية، وبدء مرحلة الحكومتين. عندما تسلم دولة الرئيس العماد ميشال عون رئاسة الحكومة الانتقالية في مقابل بقاء الرئيس سليم الحص مستمرا في مهامه الحكومية. في تلك المرحلة اقترح علي العماد ميشال عون حل اللجنة الامنية فابلغته بعدم القدرة على اتخاذ مثل هذا القرار، فاللجنة شكلت بقرار من جامعة الدول العربية وما يمكن القيام به يكمن في سحب من يمثلك فيها. فكان القرار في حينه باصداره مذكرة خدمة سحبني بموجبها دولة الرئيس كممثل للجيش من عضوية اللجنة وعينني يومها مستشارا للشؤون الامنية لدى رئيس مجلس الوزراء، لكنني لم امارس وظيفتي ومهمتي هذه وابلغته بانني ساكون في البيت. في بداية التسعينات، وبعد انتخاب الراحل الياس الهراوي رئيسا للجمهورية وتسلم العماد اميل لحود قيادة الجيش، عينت قائدا للمدرسة الحربية. في بداية مهمتي كانت اولى دورات تخرج الاختصاصيين وتميزت حفلة تسليم السيوف بمشاركة المرأة للمرة الاولى في السلك العسكري حيث تسلمن سيوفهن من رئيس الجمهورية في ظاهرة لافتة.

■ ارخّت لمراحل من حياتك ليس ارضاء لابنك وعائلتك فحسب، انما وصلت في كتابك الى امكنة اخرى فما هذا الذي انتهيت اليه؟

□ عندما قررت وضع مذكراتي، قصدت ان اقول كل شيء ولم تكن مهمتي ان اظهر شيئا واخفي اشياء اخرى. كان علي ان اكون صريحا واكشف الحقيقة كما هي. وان شملت تلك المرحلة اشخاصا محددين كنت على علاقة وصلة عمل بهم، لذلك يمكن ان تتسبب الحقيقة بازعاج البعض منهم والعكس صحيح. لذلك، في نهاية كل فصل من فصول الكتاب، اشرت الى مجموعة العبر الوطنية التي توصلت اليها واستنتجتها من تلك المرحلة بكل صدق وشفافية. انهيت الكتاب بوصيتي بأسطر قليلة دعوت فيها اللبنانيين الى الاعتراف المتبادل والتفاعل في ما بينهم، لما فيه مصلحة لبنان العليا. ولكي يصل الكتاب الى اكبر عدد ممكن من اللبنانيين، سيكون هناك حفل توقيعه في النادي المركزي للجيش في اليرزة بعد ان استأذنت قائد الجيش العماد جوزف عون الذي تمنيت عليه ان يقبل بأن يكون مردود الكتاب الذي حدد ثمنه بعشرة دولارات لصالح ابناء شهداء الجيش اللبناني، وهو ما وافق عليه وما سنقوم به.

■ كيف يمضي العميد ناصيف فترة التقاعد؟

□ انا ابن دير القمر والبيت الوالدي فيها وبنيت بيتا قرب دير مار عبدا في منطقة الشربين على الطريق المؤدية الى كفرقطرة الشوفية، واقضي وقتي بين قرنة الحمرا شتاء ودير القمر صيفا.

وفقاً لإتفاقية حقوق الطفل والقانون اللبناني 422/2002
أنا طفل/ طفلة تحت 18 سنة
من حقّي يتأمّن مصلحتي الفضلى
وكون محمي/محمية من كلّ أنواع العنف والاستغلال والإساءة
وين ما كان حتى بالمراكز الأمنيّة

من حقّي إني
شارك وأعطي
رأيي بكل الأمور
بتخصّني وبتتعلّق
بأماني
وسلامتي

أنا موجود حدكم،
لتأمين سلامتكم
وحمايتكم، طيلة
فترة وجودكم
في مراكز الأمن
العام اللبناني

من حقّي الحصول على
التمثيل القانوني
ومساعدة
اختصاصيين/ات
ومندوبين/ات
اجتماعيين/ات والتواصل
مع عائلتي في حال تمّ
التحقيق معي من قبل
عناصر الأمن العام









